الشرق في الصحف الشرقية

كنت ذات يوم ماراً مع صديق لي فرنسي بأحد شوارع الرباط ، وهذا الصديق شاب مستعرب يدرس الآداب العربية في مصر وقد جاء لقضاء عطلة الصيف بين أهله ، وهو يضمر للشرق عامة وللعرب خاصة أكثر مما يظهر على كثرة هذا الظاهر ووفرته من حسن العواطف ونبل المقاصد .

عاشر صديقي عدة أعوام الشرقيين وخالط أوساطهم فعرفهم وأحبهم حتى أصبح كل رجائه أن يخدمهم في المستقبل وينتصب الى جانبهم حليفاً أميناً ، حفظه الله لهم ووقاه من أعدائهم لا سيما منهم طائفة مستعربي (السياسة).

غادر ربوع الشرق منذ شهر فأكثر فاشتدَّ حنينه اليه وضاق نطاق صبره عن فراقه وانحبست عنه أخباره فتضاعف الحنين وعظم الاشتياق فالتمس اطفاء غلته فيما يرد على هذه الديار من صحف الشرق ومجلاته ، فدخلت معه الى مكتبة كانت في طريقنا وما خرجنا منها الا ورفيقي متأبط رزمة من الجرائد اليومية والمجلات الدورية وقد علت وجهه لمع من السرور كهذا الذي ينبعث عن فؤاد عاشق ولهان عند ما يتسلم رسالة من حبيبه البعيد .

وقد كنا عزمنا قبيل دخولنا المكتبة على أن نمضي ساعة في التماشي والتحادث ولاكن صديقي عدل بعد ذلك عن فكرته ، ففهمت أنه استحب عليها مطالعة ما اقتناه ، فانحرفت معه الى قهوة قريبة وما هي إلا أن أخذ يسرح طرفه شغفاً متأملا في الصحف وينتقل من صحيفة الى أخرى ومن عمود الى تاليه حتى استوعبها كلها قراءة ثم القى الكل على مقعد أمامنا وأخذ يفكر ويهم بالكلام ثم يحجم ، وقد قرأت على ملامحه أنه متردد في مصارحتي برأيه مخافة أن يجرحني في عواطفي الشرقية أو أن أرى في قوله ما يعد احتقاراً لاعمال الشرقيين أو تعصباً للغرب على الشرق ، وبالتالي تغلب عليه شعور الصراحة فقال : « آسف يا صديقي على أن لم أجد شيئاً كثيراً عن الشرق وأحواله في كل هذه الجرائد والمجلات ، وكل ما فيها - عدا النزر القليل - تقدم لي أن طالعته في صحف الغرب التي تصل الى المغرب الاقصى قبل أخواتها الشرقية » ، فابتدرتني ابتسامة لا أدري معناها وتناولت جرائدنا وقرأت جلها فاذا هي كما قال صديقي مملوءة بأخبار الغرب من أوربا الى أمريكا وبحوادث الغرب حتى الطفيفة منها والعديمة الاهمية ، بل حتى ما يصيب تلك الاقاليم من الجرائم المتنوعة التي أصبحت أمراً اعتيادياً في عواصم الغرب ومدنه الكبيرة ، وحتى فضائع السيارات أيضاً وبيان أسماء منكوبيها وجرحاها وضحاياها وتقدير الخسائر المادية الناشئة عن ذلك .

أما الشرق فلولا أن بلاداً عربية منه كانت تعاني إذ ذاك ازمة وزارية لما ورد في الصحف الشرقية نبأ مفيد عنه وعن ساكنيه ! اللهم الا برقيات اذاعتها الشركات الاجنبية في عواصم أوربا ، ثم نقلتها الى صحف الشرق بعد ما فاضت بها جرائد الصباح والمساء في اوربا بمعنى انها فتات مائدة لا فطور صائم !

اما المجلات فامرها بسيط حتى استغربنا بساطته ، فليس في دواوينها محررون ، وانما هم مترجمون وان شئت قلت (معربون) يشترك مديرهم أو رئيس التحرير منهم في

مجلة غربية فاذا عثر فيها على مقالة أو مقالات تروقه وتوافق ذوقه أوعز إلى زملائه بترجمتها أو قل بتعريبها ثم ينشرها بعد أن يمهد لها بهذا العنوان الحلو الخلاب: « كتبت خاصة لمجلتنا » ، ولكنه يتناسى - طبعاً - وجوب الاشارة الى المصادر التي استقى منها أو ترجم عنها ، وكم من مقال من هذا الباب قرأت في كبريات المجلات وأكثرها انتشاراً ، على أنني لا أنكر من المجلات ترجمتها لمقالات الغربيين بل قد يكون هذا عملا تشكر من أجله لو أنها وقفت عند حد معقول أو أنها لم تهمل في سبيل ذلك حوادث الشرق وأخباره ولم تتساهل في عزو المقالات الى اصحابها .

ثم إذا اعتبرنا المسألة من ناحية اخرى فالذنب في هذه الحالة ليس هو ذنب الادارات وحدها وانما هو ذنبنا جميعاً نحن قراء العربية وابناءها فان جرائدنا ومجلاتنا لا تجد من إقبالنا عليها ما تستطيع به ان توفد محررين وكتاباً الى مختلف بلاد الشرق والغرب يستطلعون احوالها ويوافون قراءهم بما يشهدون وبما يسمعون وبما يدور بينهم وبين عظماء الرجال واركان الحركات من الاحاديث المختلفة، ويزيدون على ذلك فيأخذون بآلة التصوير المناظر والحوادث ويفرغون عنها لمجلاتهم وجرائدهم صوراً خاصة تميزها عن سواها ، غير أن هذا النقص لا يمكن سده الا بواسطة الاعلانات التي يتعهد عليها ارباب المتاجر والمصانع والشركات وغير ذلك مع ادارات النشريات ، والاعلان عندنا (كالدعاية) ، ما برح محل الاعراض ، والأمية الممقوتة لازالت متفشية في كافة طبقاتنا والخمول يلعب بعقولنا لعب الارياح بالاوراق .

فدواؤنا اذاً معروف ، وعلتنا ظاهرة ، فهل عرفنا الدواء ايضاً ؟ — نعم عرفناه وما علينا الا أن نجرّعه لهذا الشرق العليل ، عافاه الله وعافى اطباءه وممرضيه !

محمد حصار

— لقد غاب عن الكاتب الفاضل كثير من الجهود التي تستلزمها الصحافة من اصحابها فتحامل على الصحافة العربية تحامل المنتقد المطلق الذي يحكم في الامور عن بعد وصحافة الشرق في الحقيقة لا تقل عن صحافة اوربا في شيء وبلوغ هاته الصحافة المقام العالي الذي هو مقامها في مصر وسوريا وغيرهما من الاقطار الشرقية مع تفشي الامية وعدم اقبالنا على جرائدنا اقبال الاوربيين على جرائدهم مادياً وادبيا أمر يوجب الاعجاب بمقدرة اهلها الذين تمكنوا من (اخراج الحي من الميت) وكوّنوا تلك الصحافة الراقية التي لم ينتقدها كاتبنا الفاضل الا حباً في الشرق والشرقيين لاغير .

قال عبد الرحيم البيساني القاضي الفاضل :

يقولون لي ماذا رأيت بشامهم ... فقلت لهم كل المكارم والفضل

فبلدتهم خير البلاد وأهلها ... باحسانهم تغني الغريب عن الاهل